مـــجـــلـــة دراســـات بيت الـــمـــقـــدس، 2022، 22(2): 169–184
DOI: 10.31456/beytulmakdis.1060827

الرؤية المستقبلية للمسجد الأقصى من منظور القرآن الكريم

إسراء محمود عيد*

ملخص: يسلط هذا البحث الضوء على منزلة المسجد الأقصى في القرآن الكريم، وما ناله من حفاوة وتكريم وتقديس، إضافة إلى مُبشرات زوال دولة بني إسرائيل، وتطهير المسجد الأقصى من دنسهم. فقد حدثتنا آياته الكريمة على أنه مركز عبادة خالص لله وحده، وسوف يتولى حمايته أتباع محمد صلى الله عليه وسلم. كما وذكرت لنا الكثير من آياته عن عاقبة بني إسرائيل، حيث يتم التمكين لهم في الأرض، وجمعهم فيها ليأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وبيّنت لنا أن العقاب آت لا محالة، وله موعدًا عند الله عز وجل لن يُخلفه. فقد كتب الله على بني إسرائيل الشتات في الأرض، وحُكمه ماض إلى يوم القيامة. وساق الله لنا الكثير من الآيات التي تتحدث عن عاقبة الظالمين الفاسقين المُفسدين الذين يقتلون المُصلحين الداعين إلى الخير، فجزاؤهم في الدنيا الاستبدال، وتجرع أشد أنواع العذاب، ولهم في الآخرة عذاب النار وبئس القرار.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، المسجد الأقصى، بني إسرائيل، مُبشرات، الظلم، نهاية اسرائيل، عقاب.

The Future Vision of Al-Aqsa Mosque from the Perspective of the Holy Quran

ABSTRACT: *This research focusses on the importance of Al-Aqsa Mosque in the Holy Qur'an; the honour, and sanctification it received. In addition to the glad tidings to the dissolution of the Zionist state, and the purification of Al-Aqsa Mosque from their desecration. The Quran in its numerous verses establishes that it is a sanctified place for the worship of Allah the Almighty and once inherited by the Ummah of Prophet Muhammad, it will be their duty to protect it. Numerous Quranic verses mention the Children of Israel and the consequences of their actions, as they are empowered in the land, and gathered in it, then God will destroy them as Divine punishment is inevitable. Allah likewise mentions that he had scattered them on earth and His judgment is applicable under the Day of Resurrection. The Quran also had focused on the consequences of the actions of tyrants who cause corruption on earth, murdering those calling to good. The Quran stresses that they will receive punishment in this life through the Sunnah of Istibdāl (Divine substitution), and then in the hereafter they shall face the most severe torment in the hellfire.*

KEYWORDS: *Qur'an, Al-Aqsa Mosque, the Children of Israel, Glad tidings, injustice, End of Israel, punishment.*

* أستاذة في القراءات والتفسير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة ماردين ارتقلو، ماردين/ تركيا، israeid@artuklu.edu.tr

مقدمة

للمسجد الأقصى مكانة عظيمة في قلوب المسلمين، فهو مسرى نبينا محمد ﷺ، وأول القبلتين، وثالث المساجد التي تشد إليه الرحال، تهفو لزيارته النفوس، وتحن للصلاة فيه القلوب، ولكنه يئن من وطأة الاحتلال والتهويد، ويتجزع أهله صنوف العذاب والذُّل والإرهاب، ويُكابدون التشريد وتهديم منازلهم وتجريف أراضيهم وقتل أبنائهم. وقد تآمرت القوى الاستعمارية مع الصهاينة اليهود، وتكاتفوا جميعًا ضد الإسلام ومسراه، فتجمعوا في الأرض الـمُباركة، وأخذوا بأسباب القوة من العدد والعتاد، وأباحوا المُحرمات، وأفسدوا في البلاد. وبالرغم من كل هذا، تأتي البشارات الربانية بأن النصر قادم لا محالة، وتبقى آيات القرآن الكريم منار المؤمنين مهما ادلهمت بهم الخطوب، وأوجعت فيهم الكربات، فهي نور الله الباقي لا محالة. قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة التوبة:32). فما زالت آيات القرآن هي الحافز الـمُطمئن لقلوب المؤمنين الواثقين بوعد ربهم. وقد جاء هذا البحث ليُسلط الضوء على الـمُبشرات الربانية بزوال دولة بني إسرائيل، وذهاب مُلكهم، ونسف جبروتهم وطغيانهم، وتحرر الأرض المباركة، وعودة أهلها إليها أعزاء لا يهابون في الله لومة لائم.

منهج البحث: اعتمدت في بحثي هذا على المناهج التالية: الاستقرائي: واتبعته في جمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن عقاب بني إسرائيل، وعن عقاب الأمم الظالمة، ومستقبل المسجد الأقصى. والاستنباطي: حيث قمت بعد استقراء الآيات باستنباط قُدسية المسجد الأقصى ومكانته، ومُبشرات زوال بني إسرائيل، واستخلاف المؤمنين، وتطهير المسجد الأقصى. وأخيرا المنهج الوصفي: استخدمته في وصف أفعال بني إسرائيل، وما يفعلونه بالأرض المقدسة من طغيان وجبروت.

مشكلة البحث: يتجرع أهل الأرض المقدسة القتل والقمع والسجن والتعذيب، ويتساءل الكثير منهم: هل هذا قدر واقع لا مفر منه باق إلى يوم القيامة؟ أم أنه عُسر سيعقبه يُسر وبُشرى من الله تعالى، وما الدليل على ذلك؟ وهل هناك آيات قرآنية تُبشِر بتطهير المسجد الأقصى وطرد المحتل الغاصب؟

أهداف البحث: يهدف البحث للتعريف بقدسية المسجد الأقصى ومكانته عند المسلمين. واستخراج الآيات الـمُبشرات بزوال دولة بني إسرائيل، وأن عذاب الله قادم عليهم لا محالة، وعودة المسجد الأقصى إلى المؤمنين الموحدين. والتدليل من كتاب الله تعالى بعاقبة أفعالهم، وسوء مصيرهم. وكذلك تبشير المؤمنين بالسُنن الربانية أن النصر مع الصبر، وأن التمكين لهم بوعد مُن لا يُخلف الميعاد.

مُخطط البحث: قسم البحث بعد هذه الـــمُقدمة إلى مبحثين، تكلمت في المبحث الأول عن قُدسية المسجد الأقصى في القرآن الكريم، وتحدثت في المبحث الثاني عن مُبشرات زوال بني إسرائيل، وتحرير بيت المقدس في القرآن الكريم، ثم خاتمة عرضت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

المبحث الأول: قدسية المسجد الأقصى في القرآن الكريم

أولى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بيت المقدس عناية وحفاوة ما لم ينلْه مكانٌ آخر بعد المسجد الحرام. وسرّ ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى خصّ أماكن معينة بالتقديس والتكريم الخاص به. فالبيت الحرام وكذلك المسجد الأقصى خاصّان لله سبحانه وتعالى، "ليس لبشر حقّ الادّعاء بأنهما ملكه أو خاصيته، وقد اتضح ذلك في القرآن الكريم من خلال ربط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى في بداية سورة الإسراء"،[1] حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الإسراء:1)؛ ويذكر في ذلك جمال أبونحل:

> وطالما أنّ القرآن الكريم كلام الله الذي أنزل على رسولنا الكريم محمد ﷺ، فإنّ ذلك يعني أنّ التقديس الإلهي للقدس يخص عقيدة التوحيد دون سواها وبشكل أخص فإنه يخص الأمة التي أنزل القرآن لها وهي أمة الإسلام. وكل مقدس إلهي اتضح أمره في القرآن الكريم هو مقدس إسلامي، يخص كل منْ آمن بأنْ لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومن انتقص هذا التقديس فإنه ينتقص والعياذ بالله من قدسية الله وما من محب لله ورسوله إلا ويحذر أنْ يقع في هذه الحرمة الواضحة. فالقدس لله ولرسول الله ولأمة الله، فرض على المسلم أن يحافظ عليها ويدافع عنها.[2]

وحادثة الإسراء لم تكن مجرّد حادث فرديّ بسيط لرسول الله ﷺ رأى فيها آيات ربه الكبرى، بل وكما يذكر أبو الحسن الندوي، زيادة إلى ذلك:

> اشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية على معان عميقة دقيقة كثيرة، وإشارات حكيمة بعيدة المدى. فقد ضمّت قصة الإسراء، وأعلنت السّورتان الكريمتان اللّتان نزلتا في شأنه وتسمّى سورة الإسراء وسورة النجم أنّ محمداً ﷺ هو نبيّ القبلتين، وإمام المشرقين والمغربين، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده، فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكّة بالقدس، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى، وصلّى الأنبياء خلفه، فكان هذا إيذاناً بعموم رسالته، وخلود إمامته وإنسانيّة تعاليمه، وصلاحيتها لاختلاف المكان والزمان.[3]

وإذا أمعنا النظر في حادثة الإسراء نرى أنّ الله سبحانه وتعالى اختار الأرض المقدسة دون سواها كي يسرى برسول الله ﷺ إليها. لأنها أرض مقدسة مباركة منذ ما قبل إبراهيم عليه السلام، بل تعود بركتها إلى بناء المسجد الأقصى كثاني مسجد وضع على الأرض مع بداية البشرية.[4] وكان لإسراء النبي

ﷺ إليها معنى كبير من معاني اكتمال النبوة، وتشريف عظيم للنبي ﷺ الذي لم يطأ ثراها من قبل، وتشريف لهذه الأرض المباركة بزيارة خاتم المرسلين لها؛ فهذه الأرض شهدت نبوات توحيدية كثيرة، وإسراء النبي ﷺ لها يعني أنّ الإسلام بوجهه القرآني جاء لينسخ ما قبله ويضمه في بوتقته، ففي المسجد الأقصى جمع الله سبحانه لرسوله الأنبياء من قبله فأمهم في الصلاة، دلالة على استمرار رسالة التوحيد التي جاء بها الأنبياء، وعلى انتقال الإمامة والريادة وأعباء الرسالة إلى الأمة الإسلامية. فالنبي محمد ﷺ بعث للناس كافة وعلى جميع الشعوب أنْ تنضوي تحت لوائه الشمولي، فهو دين الأنبياء جميعًا والنبي محمد ﷺ أولى بأخوته من الأنبياء من سائر البشر.

فبيت المقدس مهد الأنبياء فعلى أرضها هاجر إبراهيم ولوط عليهم السلام وعاشوا بها، وكذلك عاش على أرضها المقدسة إسماعيل، وإسحاق ويعقوب ويوسف، وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ممن ورد ذكرهم في القرآن الكريم. فهي إذًا منارة ضياء توحيدي نبوي على مر الأزمان. وقد اتفق العلماء أنّ من حكمة الإسراء تثبيت الديانة التوحيدية السماوية في الأرض المقدسة، أو إيحاء بأنّ بيت المقدس ستبقى مشعلًا للتوحيد وإنْ حل فيها من حل.

فمكانة بيت المقدس والأرض المباركة لا تقل أهمية وقدسية عن مكانة المسجد الحرام في القرآن الكريم وعند المسلمين، ولهذا السبب كان المسجدان مرتبطين بالدين الإسلامي ارتباطًا وثيقًا. ولذا فهم المسلمون عمومًا وسلفنا الصالح خصوصًا مسؤولية الدفاع عنهما، والجهاد لأجل الحفاظ على قدسيتها، حتى يرث الله الأرض وما عليها. إذن فسورة الإسراء تريد من المسلمين أن يُحسنوا النظر للمسجد الأقصى وما حوله، فهو مبارك ومقدس، وله مكانة سامية كالمسجد الحرام، وبذلك تكون منزلتهما واحدة في القلوب والنفوس.

المبحث الثاني: مُبشرات زوال بني إسرائيل وتحرير القدس في القرآن الكريم

حفل قرآننا الكريم مصدر التشريع الأول عند المسلمين بعدد من الآيات الـمُبشرات بزوال بني إسرائيل، وبعودة المسجد الأقصى إلى أحضان المؤمنين الموحدين، وبقاءه منارة للتوحيد الخالص الحق، وبوتقة جمعت الأديان السماوية بعيدًا عن التحريف والإفساد، ومن هذه الـمُبشرات:

1- ذكر الله سبحانه وتعالى قصة الإسراء في آية واحدة في سورة الإسراء فقط، ويشرح ذلك المباركفوري قائلا: "ثم أخذ في ذكر فضائح اليهود وجرائمهم، ثم نبههم بـ ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ (سورة الإسراء:9)، فربما يظن القارئ أن الآيتين ليس بينهما ارتباط، والأمر ليس كذلك، فإن الله تعالى يشير بهذا الأسلوب إلى أن الإسراء إنما وقع إلى بيت المقدس؛ لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية، لما ارتكبوا من الجرائم التي لم يبق معها مجال لبقائهم على هذا المنصب، وأن الله سينقل هذا المنصب

فعلًا إلى رسول الله ﷺ، ويجمع له مركزي الدعوة الإبراهيمية كليهما، فقد آن أوان انتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة، من أمة ملأت تاريخها بالغدر والخيانة والإثم والعدوان، إلى أمة تتدفق بالبرّ والخيرات، ولا يزال رسولها يتمتع بوحي القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم".[5] ولأن المسجد الأقصى مركز عبادة خالص لله وحده، سوف يتولى حمايته أتباع محمد ﷺ.

2- يقول تعالى: ﴿**وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا**﴾ (سورة الإسراء:104). في هذه الآية بشارة بتحقق وعد الله، فقد شتت الله بني إسرائيل من بعد موسى في الأرض، وبعد قرون مرت مَكّنهم الله في الأرض المقدسة، و"استوصى بهم شكر نعمته، وعرّفهم أنهم إن سلكوا في العصيان مسلك من تقدّمهم ذاقوا من العقوبة مثل عقوبتهم".[6] وهم باستيطانهم الأرض المقدسة –ديار أهل فلسطين– سلبوا خيراتهم، وعاثوا في الأرض فسادًا وإفسادًا، وبذلك حق عليهم غضب الله ولعنته. وقد شرحت لنا الآية الكريمة كيفية انتقام الله تعالى منهم، ويذكر الشيخ الشعراوي: فـــ"حين يأتي بهم الحق في الجولة الآخرة سيأتون لفيفًا أي مجتمعين؛ لأن الأُمّة المؤمنة حين يقوّيها الله لتضرب على هؤلاء القوم ضربة لا بد أن يكونوا مُجتمعين. وكأن الله قد أراد أن يكون هذا «الوطن القومي» حتى يتجمعوا فيه وبعد ذلك يرسل الضربة عليهم لأنه جاء بهم لفيفًا؛ لذلك لا نحزن لأنه قد صار لهم وطن، فقد جاء بهم لفيفًا".[7] و"المجيء بهم لفيفًا إنما يعني أن يجمعهم في وطن قومي لتأتي لهم الضربة القاصمة التي ذكرها الحق سبحانه في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخرة لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ المسجد كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً﴾ (الإسراء:7) لأننا لن نستطيع أن نحاربهم في كل بلد من البلاد التي قطّعهم الله فيها، لكنهم حين يجتمعون في مكان واحد، إنما يُسهل أن ينزل عليهم قضاء الله".[8]

وهنا رسمت لنا الآية الكريمة مشهد تجمع اليهود على هذه الأرض المقدسة، وتكالبهم عليها من كل حدب وصوب، وسُكنى هذه الأرض وكأنها صارت أرضهم الأم، وتطاولهم فيها بالبناء والعمران، وهذا كله من علامات نهاية دولة "إسرائيل". لأن من سنن الله تعالى في عباده سوق الظالمين إلى مهالكهم، وإيباقهم بما كسبت أيديهم، فالعدد الأكبر من يهود العالم في فلسطين السليبة، حيث وفد إلى فلسطين أكثر من مليون يهودي روسي في ظرف عقدٍ واحد "عقد التسعينات"، فهذا من المؤشرات الإيجابية وإن كان يبدو في ظاهره سلبيًا؛ لأنّه يزيد اليهود عددًا وقوّةً، ولعلّ الآية الكريمة تشير إلى ذلك، ثم إذا جاء وعد الحق سبحانه وتعالى دمرهم من حيث لا يحتسبون. ويفصل في ذلك الشيخ الشعراوي قائلا: "وقد يرى البعض أن في قيام دولة إسرائيل وتجمّع اليهود بها نكاية في الإسلام والمسلمين، ولكن الحقيقة غير هذا، فالحق سبحانه وتعالى حين يريد أن نضربهم الضربة الإيمانية من جنود موصوفين بأنهم: ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾

(سورة الإسراء:5) يلفتنا سبحانه إلى أن هذه الضربة لا تكون وهم مُفرّقون مُبعْثرون في كل أنحاء العالم، فلن نحارب في العالم كلِّه، ولن نرسل عليهم كتيبة إلى كل بلد لهم فيها حارة أو حي، فكيف لنا أن نتتبعهم وهم مبعثرون، في كل بلد شِرْذمة منهم؟ إذن: ففكرة التجمُّع والوطن القومي التي نادى بها بلفور وأيَّدتْها الدول الكبرى المساندة لليهود والمعادية للإسلام، هذه الفكرة في الحقيقة تمثل خدمة لقضية الإسلام، وتُسهِّل علينا تتبعهم وتُمكّننا من القضاء عليهم؛ لذلك يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخرة جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (سورة الإسراء:104)".[9] وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (سورة البقرة: 216).

إن آيات سورة الإسراء فيها تصريح على نهاية بني اسرائيل، ونهايتهم تكون في بيت المقدس بإذن الله. وهذا ما نشاهده اليوم بأم أعيننا، بأن إفسادهم يزيد إلى حد أنهم يقتلون الكثير من أبناء المسلمين، ويأسرون منهم الكثير أيضًا، ولكنهم لم يستطعوا أن يحققوا أي نصر﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ (سورة آل عمران:111). ففي كل مرة يتوغلون بآلتهم الحربية الجبارة في عمق الأراضي التي يسكنها أهلها من المسلمين الفلسطينيين، فيقتلون منهم الكثير، ويُخربون بيوتهم ومزارعهم، ولكنهم يعودون خائبين مهزومين بفضل الله ومنَّه، وإن عدتم عدنا، وكان وعد الله مفعولاً.

3- ويقول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (سورة الأعراف:167). في الآية مُبشر عظيم من مبشرات ضمور بني إسرائيل، وزوال ملكهم، وتجرعهم أصناف العذاب والذل والهوان، وهَذِهِ الآية فيها بَيَانٌ لِجَرَيَانِ سُنَّةِ اللهِ الْعَامَّةِ فِي عِقَابِ الْأُمَمِ، وَانْطِباقِها على الْيَهُودِ عامَّةً، قال القاضي أبو محمد (ت 542هـ): "والصحيح أنها عامة في كل من حال اليهود معه هذه الحال، وَيَسُومُهُمْ معناه يكلفهم ويحملهم، وسُوءَ الْعَذابِ الظاهر منه الجزية والإذلال، وقد حتم الله عليهم هذا وحط مُلكهم فليس في الأرض راية ليهودي، وقال ابن المسيب: فيستحب أن تتعب اليهود في الجزية، ثم حسن في آخر هذه الآية لتضمنها الإيقاع بهم والوعيد أن ينبه على سرعة عقاب الله ويخوف بذلك تخويفًا عامًا لجميع الناس، ثم رجى ذلك لطفًا منه تبارك وتعالى".[10] والسُّنة الربانية السماوية ماضية بعقاب الظالمين كما يذكر الرازي (ت 606هـ): "اعلم أنه تعالى لما شرح هاهنا بعض مصالح أعمال اليهود وقبائح أفعالهم ذكر في هذه الآية أنه تعالى حكم عليهم بالذل والصغار إلى يوم القيامة، قال سيبويه: أذن أعلم، وقوله تعالى: "إلى يوم القيامة" فهذا تنصيص على أن ذلك العذاب ممدود إلى يوم القيامة وذلك يقتضي أن ذلك العذاب إنما يحصل في الدنيا".[11]

وقد اختلف العلماء في نوع العقاب الـــمُرسل عليهم على أربعة أقوال، ذكرها ابن الجوزي (ت 597هـــ): "وفي سوء العذاب أربعة أقوال: أحدها: الجزية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: المسكنة والجزية، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الخراج، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والرابع: أنه القتال حتى يُسلموا، أو يُعطوا الجزية".[12] وهذه الآية ليس فيها استثناء أو تقييد، وفيها وعيد أُجري مجرى القسم؛ فكانت دلالُتها على لحوق الذُّل والصغار بهم ماضٍ في الدُّنيا إلى يوم القيامة، وكانت كلمة (سوء العذاب) عامة تشمل كل أصناف العذاب من: ذل وقتل وشريد وطرد وجزية وغيرها ودخل معها كل ما يكسر شوكتهم ويُزيل ملكهم. والعذاب كله سوء فدلت (سوء العذاب) على شديده وأصعبه، ودلت الآية الكريمة أيضًا أنهم لن تدوم لهم دولة أو عز وباتصال ذلهم واستمراره، وهذه سُنَّة الله في عقاب الأمم التي تتعدى حدود الله وتخالف أوامره، وهو ما سيلحق بهم.

وقد ذيّل الله الآية الكريمة بقوله سبحانه وتعالى ﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ وشرح ذلك ابن عاشور قائلا: أي "لهم، والسرعة تقتضي التحقق، أي أن عقابه واقع وغير متأخر. لأن التأخر تقليل في التحقيق؛ إذ التأخر استمرار العدم مدة ما، وأما قوله: وإنه لغفور رحيم فهو وعد بالإنجاء من ذلك إذا تابوا واتبعوا الإسلام، أي لغفور لمن تاب ورجع إلى الحق، وفيه إيماء إلى أن الله قد يُنفس عليهم في فترات من الزمن لأن رحمة الله سبقت غضبه".[13] وما يمتلكه اليهود اليوم من مظاهر القوة وتكاتف القوى العظمى معهم ما هو إلا نهاية التنفيس التي تسبق غضب الله وعقابه. وقد يكون معنى الإسراع هنا، كما يذكر الشعراوي، أنه سبحانه "يسرع بعقاب المفسدين والظالمين؛ لأنه غفور رحيم بالمظلومين الذين يُظلمون، إذن فسرعة عقاب الظّلمَة رحمة منه بالمظلومين".[14] وهو ما نرجوه من الله سبحانه بتعجيل العقاب لهم، وإنزال أشد أنواع العذاب بهم، والنصر لإخواننا أهل فلسطين رحمة منه سبحانه اللطيف بعباده، البصير بحالهم وما يتجرعونه من آلام، فهو يُمهل ولا يُهمل.

5- وقوله تعالى: ﴿وقطّعناهم في الأرض أممًا منهم الصالحون ومنهم دون ذلك﴾ (سورة الأعراف: 168). يوضح الله تعالى صنف من أصناف ما قضاه عليهم من ذُل ومهانة، فقد ذكر المراغي في تفسيره لهذه الآية: "بين تعالى كيف كان بدء إذلال اليهود بإزالة وحدتهم، وتمزيق جامعتهم فقال: ﴿وقطعناهم في الأرض أممًا﴾ أي: وفرقناهم في الأرض حال كونهم أممًا بالتقدير، أو صيرناهم أممًا متقطعة، بعد أن كانوا أمة متحدة منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ومنها ناس دون وصف الصلاح لم يبلغوه، إلى غير ذلك مما هو شأن الأمم الفاسدة في كل عصر، تفسد بالتدريج لا دفعة واحدة".[15] أما لفظ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ فيذكر الشيخ رشيد رضا أن معناه: "جعلناهم قطعًا متفرقين في أرض الله لا تكاد تجد أرضًا إلا وفيها شِرذِمَةٌ منهم. أجرى الله العادة بتفريقه اليهود في أقطار الدنيا لحكمة يعلمها هو (جلّ وعلا)؛ ولذا قال:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ أي: طوائف متفرقة في أنحاء الدنيا".[16] هذه الآية حدثتنا بسُنة الله الماضية مع بني إسرائيل؛ فقد جعلهم الله قطعًا متفرقين متوزعين في مشارق الأرض ومغاربها. كما إن في الآية بشارة عظيمة بإن ما نراه في وقتنا الحاضر من اجتماعهم على الأرض المقدسة (فلسطين) زائل لا محالة، فقد قضى الله عليهم أن يعيشوا متفرقين متشتتين في الأرض، والله لا يخلف الميعاد.

6- ذكر الله تعالى في القرآن الكريم آيات كثيرة عن عاقبة الظالمين، وأن الله يعجل عقوبة الظلم في الدنيا قبل الآخرة، لأن تحريم الظلم مُطلق مُحكم لا يجري عليه أي استثناء، فلا يُباح الظلم أبدًا، فلا مصلحة تُبيحه، ولا ضرورة مهما عظمت تُرخص فيه، وإن كانت تلك الضرورة تقف عليها الحياة؛ وذلك ليُقطع الطريق على الظلمة فلا يسوغون ظلمهم، ولا يعتذرون باضطرارهم إليه، أو تحقيق المصالح به، فقد حرَّم الله الظلم على نفسه، وجعله ومحرمًا بين عباده، ومن هذه الآيات:

أ- قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ (سورة النحل:61). وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ (فاطر:45).

هاتان الآيتان ناطقتان بعقاب الظالمين الفاسقين، ولكن له وقت مُقدر عنده سبحانه وتعالى، قال الطبري (ت 310هـ): "ولو يعاقب الله الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يقول: ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده، محدود لا يقصرون دونه، ولا يجاوزونه إذا بلغوه".[17] وقال المراغي (ت 1371هـ): "وقد جرت سنة الله بألا يُؤاخذ الظالم في الدنيا بكل ما يقع منه من ظلم ولو كان قليلًا في الصفة أو العدد، ولكنه يؤاخذ الأمم والشعوب في الدنيا قبل الآخرة بما يقع منها من ظلم يظهر أثره بالاستمرار عليه".[18] ويذكر الشيخ رشيد رضا في بيان ذلك: "إنما يؤاخذ الأمم والشعوب في الدنيا قبل الآخرة بالظلم والذنوب التي يظهر أثرها فيها بالإصرار والاستمرار عليها، وهو ما أفاده هنا في هؤلاء اليهود قوله تعالى: "بما كانوا يفسقون"، وأما الأمم الكبيرة فهي التي تصدق عليها سنن الله في عقاب الأمم إذا غلب عليهم الفسق والظلم كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ (سورة التوبة: 25)".[19] ففي الآيتان الكريمتان تصريح بعقاب الأمم الظالمة إذا أصروا على الفسق واستمروا عليه، وهو ما يفعله اليهود الصهاينة في فلسطين، فيُصرون على ظلم أهلها، ويستمرون في الإيذاء والعدوان، فاستحقوا بذلك عقاب الله وسخطه. وفي الآيتان الكريمتان أيضًا "تذكير لهم عن أن يغرهم تأخير المؤاخذة فيحسبوه عجزًا أو رضىً من الله بما هم فيه، فعلَّمهم أن لعذاب الله آجالًا اقتضتها حكمته، فيها رعي مصالح أمم آخرين، أو استبقاء أجيال آتين".[20]

ومن الآيات الدالة على تأخير العقوبة وإمهال الظالم قطعًا لعذره، وإقامةً للحجة عليه، قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ (سورة فاطر:37). أي كما يذكر البغوي: "وهم يصطرخون، يستغيثون ويصيحون فيها، وهم يفتعلون ومن الصراخ وهو الصياح يقولون: ربنا أخرجنا من النار، نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل في الدنيا من الشرك والسيئات، فيقول الله لهم توبيخًا أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر".[21] يعني أو لم نعمركم ونمهلكم وقتًا طويلًا كافيًا للتذكر والأوبة والرجوع إلى الله، فما لكم تطلبون اليوم فرصة جديدة للرجوع! فقال سبحانه: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام:47)، فلا هلاك إلا بظُلم، ولا ظُلم إلا وعاقبته هلاك. وهنا بشارة أيضًا أن تأخير العقاب لا يعني عدم وقوعه، أو الرحمة والتخفيف عنهم، ولكنه لحكمة يريدها سبحانه في إمهال الظالمين وإقامة الحجة عليهم، فالعقاب آت لا محالة.

ب- وقوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ (الحج: 48/22).

قال المراغي في شرح الآية الكريمة: "أي وكم من قرية أخرت إهلاكها مع استمرارها على ظلمها فاغترت بذلك التأخير، ثم أنزلتُ بها بأسي وشديد انتقامي، وحسابها بعدُ مدّخر ليوم الحساب حين لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ولا يخفى ما في هذا من شديد الوعيد وعظيم التهديد".[22] إذن فالعذاب آتٍ لا محالة، ولكن كما يضيف الشعراوي: "وقد شاء الحق سبحانه أنْ يعيشَ هؤلاء في عذاب التفكير في هذا الوعيد طول عمرهم، فيُعذّبون به قبل حدوثه، إذن: لا تظن أن العذاب الذي توعّدكم به سيحدث اليوم أو غدًا، لا؛ لأن حساب الوقت مختلف، وأخْذُ الشيء يتناسب مع قوة الآخذ وقدرته وعنف الانتقام بحسب المنتقم، فإذا كان الآخذ هو الله عَزَّ وَجَلَّ، فكيف سيكون أَخْذه؟ في آية أخرى يوضح ذلك فيقول: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (سورة القمر: 42) لا يُغَالب، ولا يمتنع منه أحد، وكلمة الأَخْذ فيها معنى الشدة والعنف والقَهْر. هذا الأجل قد يكون لمدة، ثم يقع بهم العذاب، كما حدث في الأمم السابقة التي أهلكها الله بالخسْف أو بالغرق... الخ، أما في أمة محمد ﷺ فيكون الإملاء بأحداث سطحية في الدنيا، كالذي حَلَّ بالكفار من الخِزْي والهوان والهزيمة وانكسار شوكتهم، أمّا العذاب الحقيقي فينتظرهم في الآخرة".[23] ولفظ (كأين) في الآية الكريمة يُفيد كثرة القرى التي أهلكها الله سبحانه بسبب ظلمهم وطغيانهم، وبنو إسرائيل منهم بحول الله وقوته، وسُنة الله في الظالمين مضطردة لا تتخلف، وكذلك سُنته في المظلومين المكلومين مضطردة لا تتوقف.

ت- قوله تعالى: ﴿**وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ. فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾ (سورة الأعراف:4-5).

كل الأمم التي عُذبت وأُهلكت عُلِّق هلاكها بظلمها، وهي أمم كثيرة كما دلت عليه الآية الكريمة، ولفظ (كم) يُستخدم للتكثير، فقد أهلك سبحانه قرىً كثيرةً جرَّاء ظلمهم، فالظلم ما هو إلا لعنة نهايتها الهلاك. والبلد الظالم أهلها لا ترى خيرًا ولا رشادًا يومًا حتى ينكشف عنها ذاك الوبال وينقشع عنها ظلام الظلم، وقد خاب من حمل ظلما! وفي الآية الكريمة تذكير من الله سبحانه للمؤمنين بأن تأخير وعيد الله بإنزال العذاب لا يقتضي إبطاله، لأن سنن الله تعالى في عباده لا تتبدل ولا تتغير، فلا يردها قوي مهما بلغت قوته، ولا تتعجل لـــمُستعجل حتى تبلغ أجلها الذي ضربه الله تعالى لها، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾ (سورة الأحزاب:62).

لذلك ذكر الله سبحانه في الآية الكريمة الإملاء ثم الأخذ المناسب بعده وفق حكمته سبحانه ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (سورة الحج:47)، فالإملاء لا يعني الإهمال، بل الإمهال، وهذا مصداق ما جاء في الحديث الصحيح: «إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه، لم يُفلته».[24] وفي الآية تسلية للقلوب وجبر للخواطر بأن لا يأس من نصر الله، ولا راد لقضائه، ولا دافع لوعده، فهو آت لا محالة، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنعام:45).

ث- قال تعالى: **﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾** (سورة الأنبياء:11).

قال الزمخشري (ت 538هـــ) في شرح الآية الكريمة: "وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ واردة عن غضب شديد، ومنادية على سخط عظيم، لأنّ القصم أفظع الكسر، وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم. وأراد بالقرية: أهلها، ولذلك وصفها بالظلم".[25] وفي تفسير بقية الآية يذكر ابن عجيبة: "وَأَنْشَأْنا أي: أحدثنا بَعْدَها أي: بعد إهلاكها قَوْمًا آخَرِينَ ليسوا منهم نسبًا ولا دينًا، ففيه تنبيه على استئصالهم وقطع دابرهم بالكلية".[26] ولكن ما الظلم المقصود، وما معناه الحقيقي، يذكر ذلك محمد صديق خان قائلا: "الظلم في الأصل وضع الشيء في غير موضعه، وهم وضعوا الكفر في موضع الإيمان."[27] واليهود قد وضعوا الكفر والفسق في المسجد الأقصى بدل الإيمان والتوحيد، ودنسوه بنجاستهم بدل الطهر والعفاف، وزينوه بخُزعبلاتهم بدل حلقات الذكر ودروس العلم.

وعند التأمل في الآيات نجد أنها تتحدث عن مرحلة العقاب بأنها كما يصفها ابن باديس: "الطور الأخير للأمم هو الذي ذكر في الآيات كثيرًا، أنه هو الطور الذي ينتشر فيه الفساد، ويعظم فيه الظلم، وينتهي فيه الإعذار للأمة، ويحل فيه أجلها، فيتزل بها ما تستحقه من هلاك أو عذاب، فكرر ذكر هذا الطور لزيادة التحذير منه، والتخويف من سوء عاقبته، والحث على تدارك الأمر فيه بالإقلاع عن الظلم والفساد".[28] وفي الآية بشارة بتحرير المسجد الأقصى وزوال المحتل عنه في قوله تعالى: ﴿وأنشأنا بعدها

قومًا آخرين﴾، هم أهلها الذين شردهم المحتل، وانتزع أرضهم وهدم منازلهم، هم عباد الله الموحدون سيعودون إليها رافعين راية التوحيد ليَعمروا الأرض بالإيمان وبطاعة الرحمن.

وهذه السُّنة في هلاك الظالمين، واستخلاف المظلومين بعدهم؛ وعد من الله تعالى أوحى به إلى رسله عليهم السلام؛ تأكيدًا على أن هذه السنة الربانية جارية في الأمم كلها، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ (سورة إبراهيم:13-14)، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (سورة الأعراف:137).

ج- قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ (سورة هود:102).

أكدت هذه الآية الكريمة أيضًا مصير الظالمين، وأن لهم موعدًا مضروبًا، وأجلًا محتومًا، قد قدره الله تعالى، فلا يُستقدم عنه لرغبة المظلومين، ولا يُستأخر عنه لرغبة الظالمين، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (سورة الكهف:59). وعلى المؤمن النظر إليها أنها نوازل عابرة، وجراح عارضة، وغصص بعون الله سائرة. وإذا رأى المؤمنون تكاتف القوى الظالمة مع بني إسرائيل، وتآزرها على نهب أرض المسلمين وتهويد أقصاهم؛ فليُوقنوا أنهم لن يُحققوا أهدافهم، ولن يُفلحوا في سعيهم، ولن يضروا أهل الإيمان إلا أذى؛ بل ستدور الدائرة عليهم؛ وذلك أن الله تعالى قد قضى في كتابه وسُنة الله ماضية في الظالمين بعدم الفلاح، وإذا جانبهم الفلاح أخفقوا في كل أمر يُدبرونه، وفي كل كيد يحيكونه، وشواهد التاريخ على ذلك أكثر من أن تحصى، ودلائله من الواقع كانت وما زالت على مرأى الناس ومسمعهم. قال القُشيري (ت 465هـ): "إنّ الله يمهل الظالم حينًا لكنه يأخذه أخذ قهر وانتقام، وقد حكم الله بخراب مساكن الظالمين، وقد جاء الخبر: «لو كان الظلم بيتًا في الجنة لسُلّط عليه الخراب»، فإذا ظلم العبد نفسه حرّم الله أن يقطنها التوفيق وجعلها موطن الخذلان، فإذا ظلم قلبه بالغفلة سلّط عليه الخواطر الردية التي هي وساوس الشيطان ودواعي الفجور، وعلى هذا القياس في القلة والكثرة إنّ الروح إذا خربت زايلتها الحقائق والمحابّ، واستولت عليها العلائق والمساكنات".[29]

وقد أكدّ لنا القرآن الكريم هذا في أربعة مواضع فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة الأنعام: 21)، وأخبر في عشرة مواضع أُخرى بأن الله تعالى: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة آل عمران:86)؛ فإذا نزع منهم الهداية والفلاح ضلوا وخسروا، وسعوا فيما يضرهم وينفع خصومهم. وسياستهم الحالية خير دليل على ذلك، سواء كانت السياسة الداخلية وما بينهم من فروق وتناحر واختلاف، أم سياستهم الخارجية وتخبطهم في قراراتهم التي تنتقل من فشل إلى فشل، فجلبت لهم سخط

الناس ومقتهم بدلًا من محبتهم ورضاهم؛ فقد فعلوا ما حرم ربهم عليهم من الظلم، فمقتهم الله تعالى، وغضب عليهم، وقد أخبر الله تعالى في كتابه بأنه: ﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة آل عمران:57).

ح- قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:21-22).

في الآية الكريمة قراءتان متواترتان، ويذكر ذلك الأزهري الهروي (ت 370هـ): "قرأ حمزة وحده: (ويقاتلون) بالألف بعد القاف، وروى نُصَير عن الكسائي مثل ذلك، وسائر القراء قرأ: (وَيَقْتُلُونَ). قال أبو منصور: مَنْ قَرَأَ (وَيَقْتُلُونَ) فمعناه: أنهم يَقتُلون الذين لا يقاتلونهم. وَمَنْ قَرَأَ (يقاتلون) فمعناه: أنه يقاتلون الذين يخالفونهم في كفرهم، والمقاتلة من اثنين، والقتل من واحد، والاختيار (يقاتلون) بالألف، لأن المعنى: أنهم يقتلون من غلبوه ممن لا يوافقهم على كفرهم".[30] ومعنى القراءتين واحد هو أنهم يُحاربون الدُّعاة إلى الخير ويقتلوهم متى استطاعوا إلى ذلك سبيلًا؛ وحجتهم في ذلك هو أن "الآمرين بالقسط من الناس قد وافقوا الأنبياء في الأمر بالقسط، وكبر عليهم مقامهم وموضعهم فقتلوهم، كما قتلوا الأنبياء".[31]

ذكر الله في الآية الكريمة كبيرة قتل الصالحين من الناس، وهو إثم كبير عند الله، "فههنا بيّن بالتصريح أن قتل الصلحاء الذين يأمرون الناس بالقسط أمر عظيم عند الله، وليس كقتل أحد من الناس، فذكره بعد قتل الأنبياء، والوجه ظاهر، فإن علة هذا الإثم هو العصيان لحكم الله".[32] وقد "روي عن أبي عبيدة بن الجراح أنه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيًا أو رجلًا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وقرأ هذه الآية...".[33] ويُقصد بـ(الذين يأمرون بالقسط من الناس) كما يشرح الشيخ رشيد رضا: "أي الحكماء الذين يرشدون الناس إلى العدالة العامة في كل شيء، ويجعلونها روح الفضائل وقوامها، ومرتبتهم في الهداية والإرشاد تلي مرتبة الأنبياء وأثرهم في ذلك يلي أثرهم؛ ذلك أن جميع طبقات الناس تنتفع بهدي الأنبياء، كل صنف بقدر استعداده، ... والإقدام على قتل هؤلاء دليل على غمط العقل ومقت العدل، وأقبح بذلك جرمًا وكفى به إثمًا".[34] وهذا ما يفعله الصهاينة الآن في الأرض المقدسة، فقد تسلطوا على الدُّعاة والمُصلحين بالقتل والأسر والتشريد، ونكلوا بهم أنواع العذاب، وخير مثال على ذلك استهداف قادة الجهاد ضد العدو الصهيوني في أرض بيت المقدس المحتلة، بالإضافة إلى الإبعاد وكذلك السجون التي تغص بخيرة الدعاة والمُجاهدين والصالحين المُصلحين، الذين ذاقوا ويلات العذاب، وضحوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله. فاستحق بني اسرائيل بذلك غضب ربهم وعقابه في الدنيا والآخرة.

الخاتمة والتوصيات

في ختام هذا البحث أعرض أبرز ما توصلت إليه من نتائج:

1. تفيض آيات القرآن الكريم بالوعود الصادقة، والبشارات التي تفتح أبواب الأمل، وتطرد غبار اليأس من القلوب التي أنهكها الألم. فمكانة المسجد الأقصى في الدين الإسلامي كمكانة المسجد الحرام، فقد كان وما زال مصدر إشعاع توحيدي، يصدح بالدين الحق، ويجمع الشرائع السماوية في بوتقة واحدة توحد الله وحده. وعلى المسلمين أن يُحسنوا النظر للمسجد الأقصى وما حوله ويفقهوا بركته وقدسيته. فإن له مكانة سامية كالمسجد الحرام، وبذلك يجب أن تكون منزلتهما واحدة في قلوب ونفوس المؤمنين.
2. حدثتنا سورة الإسراء أن بني إسرائيل الذين عاثوا في الأرض فسادًا وإفسادًا سيخرجون صاغرين أذلاء، وعد من الله الذي لا يُخلف الميعاد. كما أخبرتنا أن تجمعهم في الأرض المقدسة ما هو إلا بداية النهاية، حيث يمهلهم الله تعالى ليتمكنوا ويلههم الأمل فإذا جاء أمر الله أخذهم أخذ عزيز مقتدر.
3. على الناس عمومًا وأهل الأرض المقدسة خصوصًا أن لا يقعوا تحت تأثير وضغط العدوان والطغيان، وألا يهابوا والعتو والإرهاب والوحشية الإسرائيلية، وان لا يستسلموا لدولة الاحتلال وكأنه قدر واقع، وان لا ييأسوا وهم يواجهون الإرهاب الصهيوني والقتل والأسر والتدمير الذي يرتكبه المحتل بحق الناس الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، وأن لا يرعبهم ولا يخيفهم جبروتهم العسكري والأمني والسياسي والإعلامي وكل أنواع الإرهاب الذي يمارسونه، لإن "اسرائيل" مهما علت وتجبرت فهي الى زوال؛ لإن الغلبة والنصر في هذه المعركة هو لمحور المقاومة وللمقاومين الشرفاء، المؤمنين المخلصين الصادقين، الذين لم يتخلوا ولن يتخلوا عن القضية والأرض والمقدسات، هذا وعد إلهي لا خلف له.
4. ذكر الله تعالى في القرآن الكريم آيات كثيرة عن عاقبة الظالمين، وأن الله يعجل عقوبة الظلم في الدنيا قبل الآخرة، لأن تحريم الظُّلم مُطلق مُحكم لا يجري عليه أي استثناء، فلا يُباح الظلم أبدًا، فلا مصلحة تُبيحه، ولا ضرورة مهما بلغت تُجيزه، وكل هذه الآيات تُبشر بأن عقاب بني إسرائيل قادم لا محالة، وإن الإملاء ما هو إلا إعذار من الله تعالى لإنزال أشد أنواع العذاب بهم.
5. إن كان القرآن الكريم يُبشّر بالمستقبليات إلا أنه لا يُحدّد زمانًا تحديدًا مُضيّقًا، بل تحديدًا مُوسعًا، ولعلّ سبب ذلك كما يذكر الشيخ بسام جرار، هو "أنّ الله تعالى قد شاء أن يطلع عباده الغيب لحكمة يريدها، لتكون دليلاً على أنّ علم الله تعالى كامل، فيدرك الناسُ بعض أسرار القدر".[35]

6. إن قتل الـــمُصلحين والدعاة إلى الله من أعظم أسباب جلب عقاب الله، فهو عصيان لحكم الله؛ يوجب انتقامه وبطشه.
7. في نبرة تفاؤلية يبشرنا الشيخ متولي الشعراوي –رحمه الله– في تفسيره بأننا "الآن ننتظر وَعْد الله سبحانه، ونعيش على أمل أن تنصلح أحوالنا، ونعود إلى ساحة ربنا، وعندها سينجز لنا ما وعدنا من دخول المسجد الأقصى، وتكون لنا الكرّة الأخيرة عليهم، سيتحقق لنا هذا عندما ندخل معهم معركة على أسس إسلامية وإيمانية، لا على عروبة وعصبية سياسية، لتعود لنا صِفَة العباد، ونكون أَهْلاً لِنُصْرة الله تعالى، إذن: طالما أن الحق سبحانه قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخرة...﴾ (سورة الإسراء: 7)، فهو وَعْد آتٍ لا شَكَّ فيه".[36]
8. أن المسجد الأقصى كان معيارًا لإسلام أفراد الجيل الأول حينما حُولت القبلة منه إلى المسجد الحرام، فهو الآن معيار لإسلام أفراد هذا الجيل وذلك بالجهاد لتحريره وتطهيره وكامل الأرض المقدسة من دنس الصهاينة اليهود.

الهوامش

1 جمال عبد الناصر محمد عبد الله أبو خل، *فلسطين وأخبارها في الإسلام*، https://palwiki.najah.edu/index.php/فلسطين_وأخبارها_في_الإسلام

2 المصدر السابق.

3 علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي، ***السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي***، دمشق: دار ابن كثير، 1425هـ، ص218-219.

4 خالد العويسي، ***شمولية بيت المقدس ونموذجها للتعددية***، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد 16(1)، ص31.

5 صفي الرحمن المباركفوري، ***الرحيق المختوم***، بيروت: دار الهلال، ط1، ص128.

6 عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، ***لطائف الإشارات: تفسير القشيري***، تح. إبراهيم البسيوني، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، د.ت، ج2، ص372.

7 محمد متولي الشعراوي، ***تفسير الشعراوي – الخواطر***، مصر: مطابع أخبار اليوم، د.ت، ج5، ص3100.

8 الشعراوي، ***تفسير القشيري***، ج10، ص6193-6194.

9 الشعراوي، ***تفسير الشعراوي***، ج14، ص8368.

10 عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، تح. عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ، ج2، ص471.

11 محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي، ***مفاتيح الغيب: التفسير الكبير***، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ، ج15، ص393.

12 عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ***زاد المسير في علم التفسير***، تح. عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ، ج2، ص164.

13 محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ***التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»***، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ، ج9، ص156.

14 الشعراوي، ***تفسير الشعراوي***، ج14، ص4419.

15 أحمد بن مصطفى المراغي، ***تفسير المراغي***، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ - 1946م، ج9، ص322.

16 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني، ***تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)***، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج4، ص293.

17 محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، تح. أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م، ج20، ص486.

18 المراغي، ***تفسير المراغي***، ج9، ص95.

19 محمد رشيد رضا، ***تفسير المنار***، ج9، ص318 بتصرف.

20 ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، ج22، ص339.

21 الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي***، تح. عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ، ج3، ص699.

22 المراغي، ***تفسير المراغي***، ج17، ص 125-126.

23 الشعراوي، ***تفسير الشعراوي***، ج16، ص 9865-9867.

24 رواه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ***الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: صحيح البخاري***، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، مصر: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} (هود: 102)، ج6، ص 74، رقم الحديث: (4686).

25 أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ، ج3، ص105.

26 أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي، ***البحر المديد في تفسير القرآن المجيد***، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي، 1419هـ، ج3، ص447.

27 محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، ***فتحُ البيان في مقاصد القرآن***، راجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، صَيدَا – بَيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، 1412هـ - 1992م، ج8، ص308.

28 عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، ***تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)***، تح. أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ - 1995م، ص125.

29 القُشيري، ***تفسير القشيري***، ج2، ص495.

30 محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ***معاني القراءات للأزهري***، المملكة العربية السعودية: جامعة الملك سعود- مركز البحوث في كلية لآداب، ط1، 1412هـ - 1991م، ج1، ص246.

31 الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، ***الحجة للقراء السبعة***، تح. بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، دمشق / بيروت: دار المأمون للتراث، ط2، 1413هـ - 1993م، ج3، ص24.

32 عبد الحميد الفراهي، ***تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان***، الهند: الدائرة الحَميدية، ط1، 2008م، ص326.

33 أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي البزار، ***مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار***، تح. محفوظ الرحمن زين الله، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1988م-2009م، ج4، ص109.

34 محمد رشيد رضا، ***تفسير المنار***، ج3، ص216.

35 بسام نادر حرار، ***زوال دولة إسرائيل 2022 نُبوءة أم صُدف رقمية***، د. ب، 2002م، ص11.

36 الشعراوي، ***تفسير الشعراوي***، ج14، ص 8366.